ذاكرة لا تموت

قبل البداية اقبل مني السلام واقرأ فاتحة الكتاب على كل من فارقنا بجسده ومازالت روحه متعلقه بنا ولم تغادرنا للحظه ، اما بعد فهذا ليس كتاباً بالمعنى الذي اعتدت عليه ، صُنع خصيصاً من أجل من يمّلون من الكتب الطويله والقصص التي لا تنتهي ، هو بعض الخواطر التي كتبتها على المدى البعيد فإن كنت ممن لا يهوون القراءه فأنصحك بقراءة خاطره او اثنين فقط يومياً ، ستجد ما هو مُقتبس وممن اقتبسته ، في النهاية أتمنى أن تنال أول خطوه لي إعجابكم وأن يكون خفيفاً على قلوبكم

إهداء

" إلى صديقي الذي كان يقرأ في كل مره ما أكتبه رغم انه لا يحب القراءه إلا انه كان يتحمل الأمر دون أن يُظهر لي وكان يشجعني على كتابه المزيد و أوحيت لي الكثير ، لو كان الأمر بيدي لكتبت اسمك بأحرف من ذهب ، مش بخل ولا حاجه بس انت عارف الدهب بكام دلوقت ؟!"

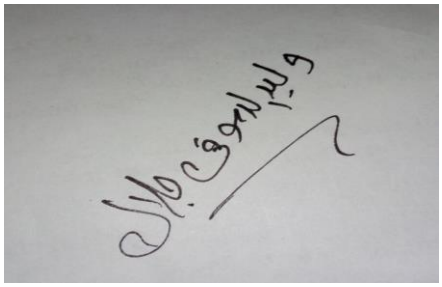

مقدمة

لكل منا اوراقه الخاصه التي تزحم المكتب او المُلقاه في حقيبه قديمه قد نال منها التراب ، أوراق لا قيمه لها في نظر البعض ، لا تتذكرها على الأرجح متى كتبتها ولا من أجل من ، وبعد مرور خمس أعوام على عزمك النيه أن ترتب أغراضك في يوم اجازتك القادم ، وغالباً الذي لا يأتي ، فتجد تلك القصاصات وتقرر عدم إلقاءها في القمامه وأن تشعل بها النار حتى لا تطولها يد زوجتك فتعلم ان زوجها الخامل الذي لا يعرف عن الرومانسية الا صباح الخير عندما يستيقظ ، كان في الأصل حبّيب من الدرجه الأولى وكان يكتب عن فتاه ما قد سلبته عقله ، او تعلم أن هذا الحزن الدائم على وجهه والتي لم ترى له سبباً قط ناتج عن اكتئابه لفترات طويله في الماضي لأشياء يُخفيها عنها ، في الأغلب إن حرقهم قبل ان تراك هو مكسب عظيم وإلا ظنت بك الظنون ...

ما المانع من إلقاء نظره أخيره على هذه التراهات قبل حرقها ، أحيانا استعادة الماضي وذكرياته أمر مؤلم ولكن ما المانع من التغيير فأنا لن أحن بكل تأكيد لأشياء مر عليها عهد طويل وبعدها قد احرقها... او لا سأقوم بنشرها فالواحد منا مهما بلغ من الكبر ونجح في إخفاءِ ضَعفِه أمام الأخرين،

وتظاهر بأنه غير مُباليًا بشأن الكثير ، حتمًا سيمر بأوقات يَشعُر فيها بالتعري الكامل من قوتِه، إذا سقط القِناع الحَدِيدِيّ الذي كان يَرتديه أمام الكثيرين ، إذا لم لا ، بالتأكيد هناك الكثير مثلي سيجدون خاطره هنا تعيدهم إلى أمر غالٍ لديهم ، او شخصاً لطالما بحثوا عنه ، بدون شك لن احرقها الآن على الأغلب...

(1)

" المثير للدهشة أن تكون فلسفتك حزينه وقلبك منقسم يشع ظلاماً ثم تدعي انك لست هذا الشخص واننا السبب " أصوات سمعتها وبدأت يدي تكتبها دون وعي وانا كالعاده أجلس في غرفتي الخاصة بالكتابه مظلمه تماماً لا يضيئها الا شمعه وضعتها بجانب كوب القهوه ليتطاير الدخان منها موحياً لي أن أصدقائي قد حضروا الآن وهو الوقت المناسب للكتابه حقا ، لا أعلم لم تخشى أمي تلك الحجره او لم تبكي ابنتي كلما ذهبت إليها ؟! إنها مجرد غرفه مليئة بالكتب القديمه ، الأصوات التي تخرج منها ويسمعونها اثناء وجودي بها ؟ اظن انهم يُخيل إليهم فقط ، إني أجلس مع بعض الأصدقاء .. صحيح انني تعرفت عليهم مؤخراً ، ولا أعلم كيف يأتون هنا او يعلمون موعد وصولي وقراري لان أكتب لكنهم شديدي الالتزام فلم أحضر في مره الا وجدتهم في انتظاري ، بالطبع أدين لهم بالفضل فقد دخلت هذه الغرفه منذ عام وانهيت أحد افضل كتبي ولم أخرج إلا بعد أسبوع دون أن يعلم عني أهلي اني فيها حتى ، صحيح أنني لا أذكر سوى ان باب الغرفه أُغلق فجأه من الداخل وانا جالس في مكاني وبعدها سقطت على الأرض مغشياً علي إلا أني حين افقت وجدت الكتاب مكوتباً بيدي وقد حقق رواجا هائلا وهو الآن في الطبعه الثامنه عشر ، لم أفكر للحظه أن الناس ستقرأ تلك الخرافات مره أخرى ،من سيشتري كتاباً تحت عنوان " بشرٌ من الچان " ومن حينها أصبحت أحب تلك الحجره ولابد أن اقضي ساعه او اثنين فيها لا افعل شيء إلا ان اضع امامي بضع ورقات فارغه وأجد أصدقائي يأتون الي ثم أفيق وتلك الورقات ممتلئه بما هو كئيب او مرعب ولذلك قررت أن اسميها تخاريف

(2)

العالم مكان قاسي جداً على الذين يشعرون بكل شيء ،بكل قوة ووعي ، قاسي على الذين لا يعرفون كيفية التخلّي ، والذين لا يعرفون كيفية النوم ليلاً أثر ثقل خيبات الصباح ، مُتعب من اللاشيء ومن كل شيء ، ربما من الوحده او من الحرب الشرسه التي تبدأها افكاري ليلاً وكأن منتصف الليل هي إشارة اطلاق النار على خلايا عقلي ... فقط تمنيت الاختفاء تماماً ، ف أنا من أولئك الذين يملون من كل شيء تقريباً إلا الشيء الوحيد الذي لا يطيق وجودهم ، الذين يتحدثون بسرعة وبدون وعي أو لا يتحدثون على الاطلاق ويكتفون بالسماع ، الذين لا يحبون الاختلاط ، ولا يعرفون كيفيه الرد على الهاتف دون تلعثم ، الذين يحبون بكل صدق ما يستحق ولكن لا... يتم جرحهم بكل سهولة ، ويتم البوح بذلك بكل صعوبة ، الذين يحملون خيباتهم داخل جيوب معاطفهم القديمة املك الكثير من الملابس ولكن القلب لا يستره إلا معطفه المميز برائحة الذكريات التي يحبها ، الذين يفضلون المشي عن الركض لأنهم ركضوا كثيراً وراء احلامهم بطرقٍ مباشرة وغير مباشرة ولم يصلوا إليها ، فقط توقفت عن رؤية العالم بتلك الصوره الورديه ف أنا لم أعد ف السادسه بعد الآن ، توقفت عن رؤية الجميع وكأنهم ملائكة بل اكتشفت ان اغلبهم من فصيلة ابليس ان تدعت له الحاجه سيتمرد وبشده.. لم أتمنى يوماً أن أكون كذلك ولكن العالم مكان قاسي للغاية ، ومؤخراً أصبحتُ مثله تماماً .

(3)

قد ترى أنك شخص وحيد ، وحيد بالمعنى الكامل للكلمة، لا أحد يلتفت لوجودك ، تجذب الانتباه حين وصولك وبعدها تنطفئ ، قد لا يهتم أحد بما تهواه ، قد يسخرون من الأغانى التى لا زلت تسمعها ، لا أعتقد أن أحد قرأ ما قرأت من كُتب ، تجد كل شيء طريف ومضحك فلا أحد يضحك على النكات التى تجدها أنت طريفة ، لديك ذكريات مدفونه لكنها كعملة من كان غني فمات مائة عام ثم عاد مره أخرى للحياه فوجد نفسه بين هلاك الفقر وامواله ذهبت هباءً ..

لكن وفى الواقعيه المطلقه ،لا أريد سوى اليقين أنك لست وحدك .. دائماً وأبداً كان الله معك وكفى به وكيلا...

أنت لست وحيداً ، لم تكن يوماً كذلك ، فقط اختلفت الأماكن وذهب عنك من تحب رؤيتهم وحديثهم فاختفيت معهم ، فمن اعتدت على الحديث معه لحظه بلحظة لسنوات طوال ثم يرحل فجأه قد يسبب لك نوبات هستيريه أشد من نوبات الإدمان ، فقط تحتاج للوقت حتى يصبح رحيلهم أمرا عادياً ، الأمر كله يكمن في الوقت، مهما طالت المده ستعتاد ذلك..أنت لا تحيا وحيدا في هذا العالم ، هناك الكثير من حولك فلا تكن ذلك الضيف الخجول الذي يدلف الأماكن ويغض بصره عما حوله خشيه ان يزعج أحدهم ، أنت الزمان هنا أنت المكان وانت القاضي وانت المحكوم عليه وكل هذا بيدك ، لا تجعل نفسك ضحيه لأفعال أحدهم بك ، كن أنت الفاعل فخطئ واحد قد يؤدي بحياتك وحياة آخرين إلى الهلاك لذا كن سيداً لقرارك . بينما تعتقد أنك وحيد بسبب شخص ما لا تريد سواه ، فهناك من يرى نفسه وحيداً أيضاً بسببك ، هنالك من يغفو وأنت أوّل أحلامه ويستيقظ وأنت أول أمنيّاته , يغرق فيك بالتفكير وينجو منك بالبكاء .

(4)

"لم أقوى على استبدالك، فأحببتك مرة أُخرى، ولكن تِلك المرة ستكون في الجنة وإن كنت لا أعلم مصيري بعد ما أقدم عليه ولكن سآتي إليكِ ، ستكون تلك خاطرتي الأخيرة إليكِ ، أعلم أنك لن تقرأيها كسابقها وتنظري إلي في سعاده بالغه " حلوه أوي ربنا ما يحرمني من كلامك " لكني على يقين انكِ تقرأيها الآن قبل أن أكتبها حتى...

أردت أن اودعكِ بالطريقة التي لطالما احببتيها وإن كنت قد عزمت ألا ألمس قلماً دون وجودك ... لكنها لكِ .

وقتها ،كنت استطيع حمل جثث الضحايا كالريشه إلى ان رأيتكِ بينهم ، وعندما حملتك شعرت وكأنما أحمل الكون بمجراته ونجومه كلها على كتفي ، كثيراً ما قُلتها لك ' من الصعب أن أحبكِ في هذا العالم الهش لذا سأتمناكِ من ربي ف الآخره ' انا الآن وحيد رغم كل من بجانبي من الأصدقاء والعائلة بعد الحادث ، لم أتحدث لأحد من حينها واعتقدوا أني فقدت النطق ، لم يعلموا اني كنت احب الحديث اليكِ فقط رغم وجود الكثير ، كنت إذا نظرت في عينيكِ تلاشت الدنيا ومن فيها حولنا وفقط لا أرى سوى ابتسامتك ، على علم تام ان ما أقبل عليه الآن حرام شرعاً ولا أدري ما ينتظرني ف الجانب الآخر ، ولكن الله يعلم أن الروح قد تلفت ، لا أخاف الجروح، ولكنّي أخاف أن تتسربين مع دمي، لذا اكتشفتُ طريقة للانتحار دون أن تسقط مني قطرة لاحتفظ بكِ بداخلي "

2007/1/20

وجدت تلك الرسالة مع ورده بنفسجيه اللون بداخل محفظه شاب في اواخر عقده الثالث من العمر بعد أن تم العثور على جثته بعد تناول كميه هائله من المخدر أمام إحدى مقابر شهداء القصف السوري..

(5)

هي مأساة في أن يقضي شخص ما حياته كلها واقفًا في مكانٍ ما ينتظر عودة شخص إليه ، شخص رحل بمحض إرادته وكامل وعيه لكنه استعار روح الآخر معه ، مأساة هي ان ينتظر ذلك الشخص عودة نفسه إليه.. كتب يوماً في غلاف كتابها المفضل " ربما لن تعودي مره أخرى من أجلي ، ربما سأقف ما تبقى من العمر مكاني انتظر سراباً لن أراه ، لكني اتيقن أنك لن تكوني قاسيه على صديقك الذي لم تفارقيه يوما قبل نومك وقرأتيه آلاف المرات ، فقط اردت اخبارك انه منذ أن غادرت وأنا أقف في المكان ذاته، أقف وأنتظرك ، أو لأكون دقيقًا أكثر، أقف وأنتظرني حتى مر عمرًا كاملًا ، أي بؤس ومأساة في أن يقضي شخص ما حياته كلها واقفًا في مكانٍ ما ينتظر عودته إلى نفسه ". يحكي انه رآها بعد عامين رفقه أحدهم فضحك بصوت عالٍ وفي نفس اللحظه امتلاء وجهه بالحزن ،افتقد رؤيتها فتبسم ورأى نفسه التي سرقتها منه فبكى .. يتسرب العمر بين اصابعه ، لا يعرف متي بلغ الثلاثون ثم الاربعون ، والآن على مشارف الخمسين ولم يرى غيرها حتى اللحظه ، كتب على غلاف كتابها الذي قرأه هو مئات المرات " لم تأخذي كتابك كما تمنيت حتى تعلمي كم أحبك لكن بالتأكيد ستحضرين يوم وفاتي لتأخذي كل الكتب ف انا لازلت اعيش وحدي فقط اردت اخبارك انه قد يحبّك أحدهم بشكلٍ هستيريّ دون أن يسرق منك سوى دقائق معدودة من يومك، بينما هناك من يسرق أيامك ولياليها لكنّه لا يستحقك ، قضينا سوياً ثمان سنوات عندما كنت بالعشرين من العمر ،ولكنها كانت عمري الغعلي عندما رحلتي ولم أكبر شيئاً ، وسأكون أول عجوز يموت وعمره ثمان سنوات "

(6)

قد أمر بجوارك يوماً يا صديقي ولم ارك ، فالتمس لي عذراً ، قد تجلس بجواري في القطار مرةً ولا انتبه إليك ، صدق أن السماء تحولت أمامي إلى مكان آخر أو تشكلت لي السحاب مع ضي القمر صوره لشخص أراه بقلبي ، قد مرت سبعُ ثوانٍ ورمشه عينٍ على آخر مره تذكرتك فيها ، ثم يقف عقلي عن التفكير بضع ثوانٍ ناظراً إلى من بعيد ويخبط كفيه على ما يراه من عصافير تزقزق حول قلبي والورود الكثيره من حوله ، يتمنى في تلك اللحظه أن يقتلع قلبي من مكانه ويلقيه لأحد الحيوانات المفترسه حتى تمزقه ،يصيح دائماً أيها الغبي توقف عما تعيش فيه من وهم ، ارحم ما تبقى بي من خلايا فهي لا تحتمل كل تلك الذكريات القاسية ولا الأماني الزائفة .. ستحبها كالمجانين حتى تجن انت وتدخل المشفى على أني المجنون واتعالج انا وأنا انصحك .. كفاك تعلقاً بأحبال زائفه اوهن من حبال العنكبوت ، على الجانب الآخر لا يخرج من قلبي سوى صوته الساذج قائلا ' انيقٌ أنا حين اخترتها روحاً لي ، أتمنى لو يشعر ذلك الأحمق في الرأس بهذا الإحساس حين أراها ، أرأيت كيف ازهرت روحك مره أخرى ! كفاك تكبرا ومل معي ، لم كل تلك المقاومه ، أتعجب ممن يرفض أن يميل نحو الملائكة ! لن تفهم شيئاً ، وحدهم الذين غرقوا في الحب يتحدثون بعمق وغرقت انا ولم يعثروا علي ، اتحارب شعورك ايها الغبي ؟ اتحارب ذاتك وهي معلقه بها! والله لا اجعلك تنام بعد اليوم حتى تنتهي من احصاء عدد المرات التي رأيتها تبتسم فيها ، او عدد نظرات خرجت خلسه إلى وجهها دون أن تلاحظك ، وإن رفضت ف سأخرج من صدرك من شده نبضاتي ، لا عجب لطالما كنت ميت بدونها فلم ترفض الحياه

(7)

كتبت لها أما أولا فسلامٌ على عينٍ تقرأ لها ما هو أقوى من السحر ، اردت أن اخبركِ انه بعدد ما تمنيت أن تكون ابتسامتكِ لي وليس لغريب ، عدد ما دعوت الله أن يجذب لي قلبكِ ، عدد ما قررت أن ابتعد عنكِ ثم اعود أقرب من ذي قبل ، عدد ما جمعتنا الأيام بأشخاص لا أتذكر منها إلا انتِ ، عدد كل ما هو جميل ذكرني بكِ .. عدد ما أردت رؤية النجوم من مكان واسع ثم وانا تحت النجوم أريد أن أعود إلى غرفتي المظلمه مره أخرى حتى أراكِ ، وحدها عينيكِ رأيتُ فيها النجوم والسماء ووطني.. بعدد الأشياء التي نسيتها لضُعف ذاكرتي فكلما رأيتكِ وقعت في حبكِ من جديد ، عدد ما كررت لكِ كم أحبكِ وقابلتِها بكلمات جافه .. عدد ما تسرب الرعب من ثقوب إلى قلبي حين ألقاكِ ، عدد ما سهرت ليالٍ أفكر كيف ابدأ كلاماً معكِ، عدد ما ترددت قبل بدء حديث معكِ، عدد ما دعوت الله من أجلكِ ، عدد ما اعدت صلاتي ثانياً بعد تفكيري بكِ ، عدد الخلايا التي أرهقها تفكيري بجمال عينيكِ ،

أما بعد ف أنا أحبكِ ❤

(8)

" انه الطريق الذي نختاره بإرادتنا وعندما نسير فيه نفقد تلك الإرادة "كررتها مراراً الا أنني أحاول في كل مره ألا أصدقها ، ولكن لطالما حدث شيء ما ذكرني بها...

2016/1/19

في أحد ليالي يناير الحزينه ، كانت تشكوا له حالها وتحدثه عن انطفائها بينما كان كل إرادته ان يقنعها انها حتى وهي في اسوء حالتها ما زالت تضئ له قلبه ، بل كانت نظرتها وحده يحسبها ثلاثين عاماً من الحياه ، وبدون أي مقدمات تركت له رساله قائلة فيها

"لقد حاولت ثم حاولت وهذا كل ما يُمكنني قوله..حاولت حتى عندما كانت محاولاتي تؤذيني." ...

أحيانا يكون الطريق طويلاً ولا تجد سوى نفسك تسير وحيداً فيه ، لن يستطيع أحد مهما كان قربه ان يشاركك اجتيازه ، بل يجب ان تتحلى بتلك الإرادة حتى تخرج منه ، بل عليك ان تحارب نفسك اولا للعوده إلى ارادتها حتى تجتازه..

لم تستطع تقبل أحد بعد وفاه حبيبها السابق في حروب اليهود ، كان لها وطناً وعندما رحل أصبحت لاجئه ، تعرفت بذلك الشاب بعد ذلك وجدت فيه ما ذكرها بوطنها الذي رحل ، كانت كلما نظرت إلى عينيه تذكرت دموعاً وليال حزينه

قضتها وحيده دون مسكن ، لم ترد ان تخدعه كثيراً ، كتبت له حاولت جاهدةً ان أعود إلى حالي ولكن لا أستطيع...

كثيراً ما نُقبل على بدايات نرى في نهايتها نوراً عظيماً ونندفع في طريقها مهرولين حتى ندخل في عالم من الدوامات التي لا تنتهي .. نندفع بإرادتنا ولكن نفقد تلك الإرادة بعدها .. قالها العراب ولم تفارق ذكارتي

"إننا نندفع جدًا ، ثم نصل للحظة نكتشف فيها مدى اندفاعنا ، ثم نبدأ برسم خط العودة ، ثم لا نعود .. لا نعود أبدًا كما كنّا".

(9)

يوما ما سأراقبك وأنتي تضحكين كالعاده ، وأنتي تبتسمين تلقائياً عند سماعك لام كلثوم " عمري ما اشكي من حبك مهما غرامك لوعني " لكن تلك المره لن أكون قريباً منكِ، بل ستكون تلك المره من وراء الجدران.. بل السماء

يوماً ما سأتركك وحيده ، ستظنين ذلك على الأرجح ربما فارقتي جسدي ،ربما لن تتذكري ملامحي جيداً ، لكن روحي لم ولن تغادر روحك مهما حدث ،

يوما سأنام وللمره الأولى التي سأرتاح من صوت المنبه المزعج ، لن توقظيني كالعاده بعد إعداد الفطور ، على الأقل سترتاحي من نصحي مجدداً بتقليل القهوه هذا اليوم او عدم سماع عمر خيرت .. ، متأكد من اشتياقك لبدأ معركه معي عند عودتي قبيل الفجر بعد سهره مع أصدقائي رغم أنها لا تحدث الا مره كل عام او عامين ،

يوماً سترتدين الأسود رغم انه لا يليق بك ولكن لن أرضى ان تبدليه قبل الأربعين ، اظهري بعض الحزن علي!

سيأتي يوم أرى فيها دموعك تجري على خديك ولن أستطيع ان امسحها لكِ وأهون الأمر عليكِ فتحضنيني كعادتك ، أتمنى أن تزوريني باستمرار لاني اشتاق سريعاً

إذا حدث ذلك فكوني تامه التأكد من انه لم يحزنني ترك ذلك العالم يوما الا انتِ وإن تمنيتُ شيئاً فهي رؤيتك مره أخرى .

(10)

ولمّا سُئِل لماذا هي؟

قال: " طيبةٌ كقطرات المطر في أواخر الشتاء ومطلع الصيف لا تؤذي أحد ، جميله كالندى صباحاً على زهور القرنفل في الربيع ، لو رآها زهور تباع الشمس لترك الشمس وتبعها أينما سارت ، كأذان المغرب لصائم نام ليله أمس فلم يتسحر ، كصوت مدفع الإفطار في يوم شديد الحر ،كالقدس في رونقها واصالتها في زمن لا وجود لمستعمر فيه ، تشبه ليالِ باريس بنغماتها الرومانسيه الأنيقة ، كدواءٌ اخذه مريض بها بعد ما يئس الاطباء من علاجه ، رأت ما بي من ظلام فحولته سحاباً ووضعت من بينه نجوم ، رغم كل ما به من سوء احبته واصرت عليه ، رأت قلبه ينتفض ويرتبك حين رؤيتها فأصبحت لا تفارقه حتى يطمئن وجودها..

كالأطفال في براءتهم إذا فرحت بكت ، و إذا حزنت بكت ، عفويةٌ في أفعالها ممن لا تقابلهم الا مره في العمر ، عاقِلةٌ كأمي حين تقول لي " متسهرش لوش الفجر وراك شغل الصبح " ، تعودت أن هناك لكل إنسان باب يوصلك لروحه ، الا هي فقط لم أرى اي حاجز للوصول لروحها، في كل آن اختارتني كما اخترتها من قبل ، استطاعت جعل قلبي يؤمن أن الله لم يخلق إناثاً بجمالها ، لمَّ هي ؟!

لا ادري ، لا ادري كيف ومتى ولكنها هي ، في كل مره كانت هي فقط وستزال هي

(11)

اقتنعت مؤخراً أن كثره التفكير تؤدي للموت، موتٌ بطئ تعرفه وتتيقن بوجوده لكن ليس بيدك حيله الا ان تجلس في انتظاره يفعل بعقلك وجسدك ما يجيد فعله ، وكأنه ثعبان أسود ضخم قد التف حول رقبه أحدهم لا يريد سوا خروج روحه إلى ربها ، ليس الأمر بالمستحيل فكلانا ميت لا محال، ولكنه صعب.. والأصعب أن تجد نفسك تجلس في غرفه مظلمه ويُعرض عليك ألف ذكرى وهاجس في وقت واحد وانت تحاول قدر امكانك ان تخرج من تلك الحال كهذا الذي يعافر للنجاه بعد أن ابتلعته دوامه بحر هائج بعدما كان يستعرض قدراته على لوح تزلجه .. يبدوا ان القهوه لم تعد تستطيع أن تؤدي المطلوب منها الآن... لا شيء يستطيع مساعدتك في ذلك، انت تذهب في كوابيسك وأنت مستيقظ فما حالك وانت نائم. ، أخاف عليك يا صديقي كثيراً من النوم.. في كل ليله عندما أجد تلك الدموع على خدك قد ملأت وسادتك اشعر وكأنها آخر لياليك بيننا ، اصبح نومك عذاب لك وليس راحه ، أي نوم هذا الذي يستغرق نصف ساعة وتستيقظ على كابوس لا تتذكره ثم تنام بعد معاناه فتخد كابوساً آخر بانتظارك ويمر ليلك على فترات أكثر من مواعيد المترو ليلا. اشفق عليك خوفا أن تظل هكذا فتره طويله. أخشى ان طالت الا ترجع إلينا ثانيةً ،

رجائي ان تقاوم.. قاوم...

(12)

قالوا قديماً لا تنبش في قبر حديث الردم مهما كان الميت عزيزاً لأنك لن تحصد إلا الجن ، لا اتذكر من يومها سوى انه كان خميساً ، كانت تقارب الحاديه عشر وكان يسير في حركه غير متزنه كأنه قضي ليلته في حانه.. استمر في السير حتى بلغ ضواحي قريته وهو مكان غير مسكون ببشر فذلك مكان يشرف على القبور.. استمر ف السير حتى دخل من باب ضخم كُتِبَ عليه " منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى " سلك طريقاً بين المقابر يبدو انه يحفظه عن ظهر قلب حتى اقترب من قبر ركز عليه نظره ، اقترب منه كثيراً حتى سقط على ركبتيه واجهش ف البكاء ، يبدو أنها ليست بليله عاديه منذ البدايه فقد امطرت السماء بغزاره ، ظل يبكي وهو ينظر الي قبرها ويتذكرها طيفها يقف امامه وكأنها تضحك له تذكر أياماً قضوها بطولها ينظر فقط لها ، ذلك المجنون تخيلها امامه وعاتبها على ذنبها الذي ارتكبته ومن ثم قتلها.. قتلها بعدما خانته ودخل السجن ل 15 عاماً وعندما خرج ذهب الي قبرها ، سمع صوتها ورآها بعينيه فنبش قبرها ، والمطر يزداد بعد حين حتى فتح القبر لم يجد شيئاً وقف ليجمع تركيزه ونظر أمامه لا يرى الا ظلاماً ، أخرج هاتفه ليضئ المصباح فوجدها امامه ! .. سقط مغشياً عليه بجانب قبرها ومر الكثير من الوقت حتى استيقظ في إحدى المستشفيات الحكومية معلقا له الجلوكوز بعد خياطه العشر غرز في رأسه لا يدري ما الذي حدث له ولا يتذكر سوى كابوساً لا يريد أن يعيشه مره أخرى...

(13)

إلى أحدهم..

شكراً لانك جعلتي ضرورات الحياة لا تقتصر على الهواء والمأكل والمشرب.. شكرا لانك اضفتي الى ضرورات يومي ألا يتم دون سماع صوتك ورؤيتك.. شكراً لانك اعدتي زرقه السماء وألوان الأرض الى نظري.. شكراً لانك انتشلتي بقايا جثتي الهامده من الضياع الى الحياة مرة أخرى.. شكراً لانك علمتني كيف اتبسم.. شكراً لكل وقت جلستي به مهمومه بمرضي.. شكرا لكل نفس خرج من فمك وهو يشفق على حالي ، أنا من استطاع دائماً وأبداً أن يخرج منك تلك الابتسامة التي لطالما زينت وجهك الملائكي ..

وحدي أنا من استطعت قراءة عيناها لأني أحفظ تدرّج بريقها عند كل شعور ، وعندما تكون منطفئة يكون قلبي كذلك.. .حينما كانت ترفُضني الأماكن، الأشياء والفُرص، كانت هي وحدها من تحتويني ..

باختصار شديد انا بدونك لا شيء

(14)

13/12/2007

من ليالي ديسمبر التي لا تُمحي من ذاكرتي مهما مر عليها الزمان.. طفل لم اتجاوز التاسعه من العمر ، نائم بعمق في حجرة جدتي التي اعتدت المبيت عندها أعواماً طوال ..كنت مستغرقاً في النوم وفجأة استيقظت ، بلا سبب ولا مقدمات ، أحسست بثقل رهيب في رأسي .. ناظر إلي الأرض حتى اتزنت عيناي وذهب الدوار عنها وثم أرفع رأسي ليقع نظري علي وأنا نائم في الفراش بجانب جدتي ! .. كنت أرى الغرفه كلها بوضوح والغريب اني اشعر ، انا لا أحلم ، ظللت في هذه الحاله لبرهه ثم اختفى كل شيء من حولي..

وجدت نفسي فجأه جالساً في حديقة جميله أكاد اجزم اني اعرفها ، كانت تتخللها بروده الشتاء ، كانت غريبه لم أر في حياتي زهورا سوداء ، كانت أنيقه رغم غرابتها وكانت تملأ الحديقه، استدرت لأجد رجل مسن ظهر لي فجأه من حيث لا أدري ، كان يرتدي معطفاً اسود وملامحه بريئه إلى حد كبير ، أعطاني حلوى فاخذتها منه في تردد واكلتها في الحال مذاقها غريب جدا ، تشعر بالمراره في أول الأمر ثم تنتهي بمذاق حلو جدا ، بعدها أخرج من معطفه سكينا طويل وأشار إلى منزل أمام الحديقه ، أخذت منه السكين

بدون إرادة واصابني حال من الغضب الغير مبرر فجأه وذهبت مهرولا إلى المنزل ، فتحت بابه لاجد أمامي جدتي نائمه على سريرها وهناك شخص ما موجود بالحجره ، انزلت عليه جم غضبي وضربته بالسكين صرخ الرجل ونظر إلي مندهشاً وسال منه الدماء على بلاط الحجره، بعدها خرجت إلى الرجل العجوز في الحديقه رافعاً رأسي في انتصار وهو ينظر لي نظره الفخر ، اعطيته السكين ثم اعطاني قطعه أخرى من الحلوى ، نظرت إليها حتى افتحها ورفعت نظري اليه فلم اجده.. أكلتها وسقطت مغشياً علي.. استيقظت باكياً لأجدني في حجرة جدتي بجانبها على السرير ايقظتها لتهدأ من روعي فاحتضنتني حتى هدأت . ثم وجدت آثار للدماء على قميصي ، لك أن تخمن دماء من هذه...

ما كان من جدتي الا أنها فسرت ذلك ب " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " خاصه وإنها كانت تحلم بكابوس سيء في هذا الوقت.. .كانت تلك آخر ليله أبيت فيها عند جدتي وبعدها لم ينقطع البخور ولا القرآن من بيتها ، وكذلك لم تنقطع زيارات العجوز لي ....

(15)

تخيلي يوم نتقابل ونكون انا وانتي عجزنا .. والزمن يقف بينا ساعات ، يبان للي حوالينا إننا ف يوم كنا أحباب ، تخيلي.. لو بعد ما عديت الستين يجوز معدش في شعر كتير ، يجوز اكون مش شبهي تمام.. يبان ف كلامي اني قدمت وبقيت خلاص يدوب يومين وهسافر ، هشوفك ليل صافي زي زمان ، هلاقي ف عينك قمر دورت عليه سنين وسنين.. هتخرج من عيني نظره تقابل نظرتك ف هدوء وتلوم خمسين سنة فاتت من غير ما نكون فيها مع بعض ، هشوفك كالعاده ملاك ويمكن اندهك يا أميرتي كما كان الحال عليه زمان ، هشوفك سندريلا التايهه ف عينيها نظرتها الخايفه من العالم واطمنت اما شافتني وانا الي أضعف مخلوق في العالم ، تخيلي... همد ايدي واسلم فترتعش ايدك ف ايدي كالعاده لا هي خوف البدايات ولا من جحيم النهايه ولكن دي شيخوخة وحكم السن وظروفه يجوز نضحك ع الماضي ونقول عادي كان بينا ذكريات حلوه فضلت متعلقه لسنين وليه دلوقت وبعد كل هذا الوقت الدموع نازله من العين .. تخيلي.. اقولك وحشتيني ف تبصي للأرض ووشك يحمر زي الماضي ف افتكر اول بوكيه ورد جيبته كان فيه شبه منك وقت الشمس ومش عارف النور دا منك ولا الشمس سرقاه منك.. تخيلي.. أكيد هيبان قصاد الناس بإن في سر ما بيننا ويجوز تعاتبيني على غيابي لكن والله بلقُاكي هعيش تاني م الأول كأن عمري عشرين عام .. تخيلي..

(16)

" في حياه كلٌ منا وهم اسمه الحب الأول... لا تصدق هذا الوهم ، الحب الأول هو حبك الأخير "

كل ما مثلته لي تلك الكلمات فلن تزيد عن تراهات قرأتها يوماً على لسان إحسان عبد القدوس كيف يكون ذلك ممكن ! كيف لنا أن ننسي أول مره ابتسمنا فيها بصدق ! ، اكانت ابتسامتها وهم ! كيف نتجاهل لمعه عين ظهرت حين التقاء نظراتنا للوهله الأولى وكانت كافيه لانارة النصف الآخر من الأرض مع القمر ، أكان مجرد وهم ؟ سحر بعينيكِ احتواني يوماً وتم إبطاله ! ... لم أجد كلماته سوى محاوله بائسة للخروج من حزنها ، محاوله النسيان! أحياناً تنتهي العلاقات بصوره هادئة سواء كانت زواج ، صداقه او حب بين شخصين الا ان الذكريات هي ما تؤرق القلب ، فمهما مر من الزمان لن تستطيع نسيان مكان سيرتما فيه يوما ، مطعم دخلتموه سوياً ، موقفاً اضحك وآخر أبكى.. لا ذنب لنار كانت تستخدم في الانارة تم توظيفها عن خطئ في الحرق.. نار الحب والنسيان وكلاهما حرق ...

ولكن مهما رأيت من الدخان فلن تفر هارباً ولكنك ستحاول معرفه مصدر الدخان لتجده في النهايه بركاناً يوشك أن

ينفجر ،وقتها لن تشعر إلا بسوء قرارك لعدم الرحيل من قبل ستحاول جاهداً الهرب بأقل الخسائر لكن الوقت لم يكن بالانتظار وهرب منذ خيوط انبعاث الدخان ولربما أحرقت تلك النار كل ما بداخلك...

لا أدري متى تذكرت المقوله الأولى او سبب يجعلني اتذكرها ، لم أمر بتلك التجارب سوياً الا انني قد بدأت في استيعاب كلامها بعد أكثر من خمس سنوات على قراءتها .. "الحب ما هو الا اتصال لأجزاء النفوس المقسومه فالمِثلُ إلى مِثلهِ ساكن " ابن حزم الأندلسي

(17)

مازال يراودني الكابوس منذ ان كنت بالسابعه من العمر ، وكأن الجن بغرفتي يلعبون بعقلي اثناء نومي طيله الثلاثه عشر عاما ، أحلم ان روحي تخرج من جسدي لكنها لا تغادر الغرفه بل فقط اكتفي بالنظر إلى وانا نائم ، لا أعلم ما المتعه التي أجدها في ذلك فلست بالمثير حتى ، وإن كنت ف لا اعتقد أني اضيع وقتي بالنظر إلى ، لكني اكتشفت أني انظر إلى تلك الهاله المظلمه التي تحاوطني وانا نائم.. وكأن إبليس نفسه نائم بجواري ليشع كل هذا السواد ف الحجره ، ظللت انظر إلي طول الليل ، ماذا يحدث لي ؟! السواد من حولي يلتف حول رقبتي وكأنه يخنقني.. فأقتربت قليلاً لاقف بجوار جسدي المريض لأجد نفسي افتح عيني فجأه ولكن لا يوجد بها سواد البؤبؤ! عيناي بيضاء يسبح بها خيوط حمراء كثيره وكأن اليوم قضيته في تعاطي المخدر..

خفت من هول منظري وانا أرى نفسي اتعذب هكذا ثم جلست مكاني اصرخ بأعلى صوتي ، أتمنى أن يسمعني أحد ليوقظني من ذلك الكابوس ولكن لا وجود لصوتي ف الأساس.. لا أملك سوى ان اجلس بجواري أبكي واتمني ان ينتهي الأمر .' فقط ينتهي وأعود الي مره أخرى..

بعد ساعات قليله مرت كالدهر علي ، لاحظت اختفاء الظلمه عني مع صوت آذان الفجر كما لاحظت أني اعود مره أخرى إلى جسدي لاستيقظ وتستمر كل ليله كسابقها والواضح انه لن ينتهي ف الغد القريب.....

(18)

في الوقت الذي يعتبر فيه صاحب الضمير الحي ثروه قوميه في زمننا الفاسد ، إلا أن أسوء الأوقات هي تلك التي ينصب لك فيها ضميرك محكمته ويضعك في قفص الاتهام ويبدأ في محاكمتك .. محاكمه طويله ، مرعبه لما ستتركه من آثار على روحك . سيبدأ في استعادة الماضي وكأنك قاتل يريد أن يحكم عليك بالإعدام قبل البدء وما هي الا روتين حكومي ممل ، ولكن لا سيجعلك تتمنى ان تعدم في أقرب وقت حتى يتوقف عن مراجعه تلك الدفاتر التي دفنتها بعيداً عن ذاكرتك ...

أتذكر الفتاه التي احبتك يوما ؟ نعم تلك التي كانت تخجل عند الحديث مع اي ما هو مذكر.. هي التي عندما راتك ابتلاها الإله بحبك فاحبتك ولم تسطع كتمان ذلك فاخبرتك وعيناها تنظران للأرض ، يلمع البلاط تحتها من لمعان عينيها.. ماذا كان منك ؟ اعتذرت وتركتها بكل وقاحه ، تأسفت لها وكأنك صدمتها غير قاصد في زحمه القطار ، وتركتها يتحول لمعان عينيها خجلاً إلى شلال من البكاء حزنا من نفسها ... يبدو أن سياده القاضي قد تأثر كثيراً ولن تقل العقوبه عن ألف ليله من الأرق المزمن تفكيراً بما حدث ، قد كتب حكمه وامسك ملفا لقضيه أخرى يا إلهي ما أكثرها من ملفات امامه . أنت أيها الوغد ، أتذكر حينما رفضتك فتاه مره ، وتقربت منها ورفضتك ثانيه ولم تيأس واصبحتوا اصدقاء أكثر وعندها رفضتك لثالث مرة ، لِمَ لم تنسحب في بادئ الأمر ! لِمَ انت مستمر في صداقتها بعد ثالث مره ! ماذا تنتظر منها ؟ تطلق عليك النار من بندقيه ؟

يارجل ان روحك تشكي مما حدث إلى الآن ، قد فقدت هويتك تماماً ، في هذه الحاله اقرر انا الضمير ألا تُحب أحدا من بعدها أبدا ، ولن أسمح لك الدخول في أي علاقه أخرى حتى اقرر ان روحك قد التأمت من جديد..
رفعت الجلسه

(19)

ما الأمر يا صديقي ، لم وصل الأمر لتلك الصعوبه ؟

-الكثير من الغياب.. دون أدنى سبب كان الكثير من الغياب كافي ليقتل كل شيء ، لا بل يميت قهراً ، الا تجد الشخص الذي تعتبره حياتك كلها في وقت ما بينما تخلى عنك الجميع وكانت هي الملجأ الوحيد والركن الثابت في عقلك وفجأه تختفي ، صدقني قد لا يكون موتا بالمعني هو أشد من التهشيم لروحك.. شيء أشد من الموت

-حسناً يا صديقي ، لم لا تخبرني كيفَ كان الحُب؟!

-سريعاً جدا.. كان سريعاً كغمضةِ عين لم استشعره ، كان مثل ما قال الذي عنده علم من الكتاب لسليمان سآتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ، طرفه عين استغرقها ولكنه نقل عرش مملكه لذا كان الأمر سريعاً لكن أثره باقٍ ودلائله جرحُ عميق لا أعرف له نهايه .

- ستنسى يا صديقي ستنسى أليس كذلك ؟!

-أُنسى ؟ لا اعتقد ، إنها الأولى وتعاهدنا أن لا يكون هناك غير الأولى ، وبالعهد أوفي انا على الأقل ، لا اعتقد ان ذلك النقاء او التلقائية ستتكرر مره أخرى ستكون علاقه جافه..

-ستُحب مرةً أخرى و إن لم ينجح الأمر ستحب ثالثه لم لا تثق يا رجل ليست آخر حواء بالعالم!

-بل هي .. لطالما كانت الوحيده ، ولو اضمن لقائها مره أخرى لبحثت عنها من مشرق الأرض لمغربها كما فعل آدم.

- حتى وإن وجدت الفتاه المناسبه أمامك ؟

لا قلب لي يتحمل أن أحب من جديد وانتهى إلى نفس المصير ،كانت قلبي و أخذَته معها ، جدالٌ خفيفٌ كصراع يحدث من أجل قهوة ، واسلمت لها من أوله هكذا بكل بساطه فسلبتني روحي .

(20)

لم يكن الأمر متعلقاً يوماً بعدد من حولنا بل بقلب من معنا ،

اعتقد انه لو اجتمع العالم كله من حولك فلن يستطيعوا تحريك الحزن من قلبك ، وحدهم من لوحوا بقلوبهم ورحلوا يستطيعون ، بعد الرحيل..وحين تكون الوحشه حقاً، يتحول القلم إلى بندقية والورق إلى أجسام من نحب. ثم نبدأ في القتل.. لا نقتلهم هم، بل نقتل أنفسنا حين نترجم تلك الذكريات المدفونه في الذاكره إلى ذخيره لتزين الورق لا لتحرقه..

لا أدري هل حاولوا قتلي قبل الرحيل فلم يقدروا ثم قيدوني بما ليس عندي خلاصه ونسوا ! قيدوني بذكريات لا عدد لها ، لم يحدث من قبل أن نسيت عيد ميلاد من أحببت رغم مرور أكثر من الخمس عشر عاما على آخر حديث بيننا ، لم يحدث وأن غفلت عن تاريخ اول وظيفه لها.. لِمَ لمْ يذهب كل ذلك في طي النسيان فقط !

الذاكرة مكان صغير جداً ولكن على الرغم من صغره إلا انها تحمل عمرك وعمر من تحب وأهلك ووجوه اصحابك وبعض الغرباء الذين يقابلوننا لمره ف العمر يقف فيها الزمن لحظات من النظر بيننا وابتسامه تُحفر في الذاكره ثم يختفون ، في الحياه بعض الذكريات نتمني لو وضعناها في محرقه حتى تتحول رماداً ثم تصبح وكأنها لم تكن شيئاً مذكوراً .. أتمنى أن اقتلع الجزء

المخصص بالذكريات من عقلي واستبدله بجزء للأحلام ، فبالرغم من أننا نعلم أن الحياه لم تعد جديره بأن تُعاش بعد رحيلهم ، إلا أنني ما زال بوسعي أن أحلم..